

## دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل The role of documentaries in forming child's culture

أ. باجي سهام\*

جامعة المسيلة - الجزائر - siham.badji@univ-msila.dz

أ.د جمال بن زروق

جامعة سكيكدة - الجزائر - D.benzerouk@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام 2021/06/07 تاريخ القبول 2021/12/23

### الملخص:

تؤدي الأفلام الوثائقية وظائف عديدة أبرزها التثقيف والتعليم، وتحظى باهتمام مختلف الفئات العمرية حتى فئة الأطفال. إذ تتميز هذه الأفلام بتنوع مضمونها وعرضها للموضوعات بطريقة مبسطة وجذابة، حيث تراعي القواعد الصحيحة لإعلام الطفل وتسعى إلى تحقيق الأهداف التي تتناسب مع خصائص مرحلة الطفولة، هذه الأخيرة تُعدّ مرحلة أساسية في إعداد الشخصية وتكوين ثقافة الفرد، لذلك يجب الاهتمام بها من خلال جعل الفيلم الوثائقي نوعا برامجيا أساسيا في إعلام الطفل والعمل على إنتاج مزيد من الأفلام الوثائقية وفتح قنوات متخصصة ومخصّصة له.

الكلمات المفتاحية: الدور - الأفلام الوثائقية - الثقافة - الطفل

### Abstract:

**Keys Words:** the role- Documentary film- culture- children

Documentaries perform many functions, most notably cultivation and education, and receive attention from different age groups including children. These films are characterized by the diversity of their content and presentation of topics in a simplified and attractive way, where they take into account the correct rules of child media and seek to achieve the goals commensurate with the characteristics of childhood, the latter is an essential stage in the preparation of personality and the formation of the culture of the individual, so it must be taken care of by making the documentary a basic software type in informing the child and working to produce more documentaries and open specialized channels dedicated to him.

\* المؤلف المرسل

## مقدمة:

تُعتبر الطفولة مرحلة البناء الأساسية، فهي مرحلة غرس المفاهيم والمبادئ والمعارف، وتحتاج إلى عناية واهتمام الكبار لأنّ الطفل كالصفحة البيضاء ويمرّ بمرحلة ضعف وبالتالي يعتمد على الغير لكي يكبر بطريقة سليمة. وإعداد الطفل يتوقف عليه مستقبل الأمة، لأنّ طفل اليوم هو رجل الغد الذي سيتحمّل مسؤولية النهوض بالأمة. وتزداد خطورة الإعداد لهذه المسؤولية في العصر الحالي لما يميّز به من سرعة التغيير ومن تعقيدات.

وتساهم مؤسسات الدولة والمجتمع الرسميّة منها وغير الرسميّة في تثقيف الطفل وهي معنيّة بصناعة ثقافة الطفل وصياغتها فكريا وممارسة. وتتصدّر الأسرة هذه المؤسسات ويشاركها الدور كل من المدرسة والمسجد والأندية والمراكز الثقافية والمؤسسات الإعلامية، فجميعها مسؤولة عن التنشئة الثقافية للطفل بتطبيعها على طباع المجتمع وتكوين وعيه واتجاهاته الفكرية والقيمية.

وتعاضد دور التلفزيون في التنشئة الثقافية نظرا للجاذبية التي يتمتع بها بجمعه بين الصوت والصورة الملونة والحركة، وكذلك توفيقه بين الترفيه والتثقيف مع العلم أنّ الترفيه يُعتبر بوابة لتلقي المعرفة، فمضامين التسلية تُعدّ وسيلة لجذب الطفل فتشغل وقت فراغه بما هو مسلي ومفيد. كما أنّ تراجع دور الأسرة نتيجة عوامل عديدة، وكذا تخلف المدرسة عن قيامها بدورها في التربية عززا من دور التلفزيون. ضف إلى ذلك ما يميّز به الطفل من نقص الخبرة من جهة، وحبّه للاستطلاع من جهة أخرى فهو يعيش في مرحلة التكوين ورسم الشخصية، كما يتسم الطفل بالمرونة والقابلية للتأثر بالعوامل المحيطة به فهو كالإسفنجة يتشرب ما يُنقل إليه من التلفزيون بسهولة.

ويؤكد علماء النفس أنه كلّما زادت عدد الحواس عند تلقي فكرة معينة كلّما ترسّخت الرسالة في ذهن المتلقي. وتشير الدراسات إلى أنّ أغلب المعارف التي نكتسبها تكون عبر حاستي السمع والبصر، وبما أنّ التلفزيون يعتمد على هاتين الحاستين فإنّ مدّة الاحتفاظ بمعلوماته يكون أطول.<sup>1</sup> ويذكر علماء النفس أنّ التلفزيون يأتي في المرتبة الثالثة بعد الأم والأب في علم التربية الحديثة، ولم يعد بالإمكان منع الأطفال من مشاهدة التلفزيون في ظل الفيض الهائل من البرامج والأفلام التي أصبحت مصدرا لتكوين الأفكار والسلوك ووسيلة لا يمكن الاستغناء عنها في تربية الطفل وتعليمه.<sup>2</sup>

ويوفر التلفزيون أنواعا متعددة من التعلّم الفعّال: تعلّم معرفي وتعلّم اجتماعي وتعلّم معنوي، فالطفل يتعلّم من خلال المشاهدة أو الملاحظة حسب ما أقرته النظرية السلوكية المعاصرة.<sup>3</sup> أي لا نعني هنا فقط التعلّم المدرسي المقصود الذي يحتاج إلى الدراسة لتحصيل المعلومات، بل

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

نقصد التعلّم بمعناه الواسع الذي يتضمّن ما يكتسبه الفرد من معارف وأفكار واتجاهات وعواطف وقدرات ومهارات وعادات سواء كان الاكتساب بشكل مقصود أو بشكل عرضي غير مقصود.<sup>4</sup> أي التعليم المرادف لمفهوم التثقيف بمعناه الشامل. وبرامج التلفزيون التي تحترم خصائص مراحل الطفولة وقواعد الإعلام المسؤول الهادف كفيلة بالنجاح في مسؤولية تكوين ثقافة الطفل.

وأهم قاعدة يجب على البرنامج التلفزيوني الجيد أن يراعيها هي: "البساطة في المضمون والوضوح في اللفظ والمعنى، الثراء في المادة والتنوع في الأسلوب والتطوير في المعالجة، الدعوة العقلية التي تقوم على المنطق السليم وتستند إلى البرهان الصحيح، الدعوة بالكلمة الطيبة والأسلوب الحسن والموعظة الحسنة التي تصل إلى عقل الطفل وقلبه، فيجد فيها الخير والسعادة".<sup>5</sup>

واعتبر الأفلام الوثائقية نوعاً إعلامياً هادفاً يحترم القاعدة السابقة، ويُصنّف مضمونه في خانة المضمون الثقافي الذي يهدف بالدرجة الأولى إلى تكوين ثقافة الفرد حتى أن بعض الباحثين يُطلقون عليها تسمية الأفلام الثقافية. واستقطبت موضوعاتها المتنوعة وأساليب عرضها المتميزة جماهير من مختلف الفئات حتى من فئة الأطفال التي تستهويها مشاهدة أفلام عن الطبيعة وعالم الحيوان والنبات وأفلام الرحلات وأفلام العلوم والتكنولوجيا التي تُبث سواء على قنوات تلفزيونية عامة أو على قنوات متخصصة في الفيلم الوثائقي مثل الجزيرة الوثائقية وناشونال جيوغرافيك أبو ظبي المجانيتين وقناة ديسكفري بالعربي التي تتطلب دفع الاشتراك الشهري، أو على قنوات متخصصة في الفيلم الوثائقي الموجهة للصغار مثل ناشونال جيوغرافيك كيدز أبو ظبي.

وبدأ بث قناة ناشونال جيوغرافيك كيدز أبو ظبي في 2017 وهي أول مبادرة عربية رائدة متخصصة في الأفلام الوثائقية الموجهة للطفل، ومن ميزاتها أنها قناة مجانية مفتوحة على كل جماهيرها، واعتبرها المختصون بذرة مشروع لتكوين ثقافة الطفل العربي الذي سيصبح عالم الغد بفضل استراتيجية القناة، حيث تسعى القناة إلى تكوين جيل من المستكشفين من خلال طابعها العلمي الترفيهي والمعرفي والثقافي. لكن توقّف بث القناة في بداية 2020 بعد أن كانت تمثّل مكسباً وملاذاً للطفل العربي.

وقد تسبّب توقّف قناة ناشونال جيوغرافيك كيدز أبو ظبي في خيبة أمل لدى الأطفال والأولياء، ففي دراسة استطلاعية أجرتها الباحثة على عينة قصدية مكوّنة من 20 مفردة لجمهور القناة من فئة الأطفال وأوليائهم توصلت الباحثة إلى اعتماد الأطفال على القناة في تكوين ثقافتهم وفي تضيئة وقت الفراغ، كما ساهمت في تحسين مستواهم الدراسي ورفع الطموح وحب الاستطلاع

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

لديهم. وعبر الأولياء عن استيائهم واستغرابهم من توقف قناة تثقيفية تخدم الطفل العربي في الوقت الذي هناك حاجة لفتح مزيد من القنوات من هذا النوع.

انطلاقاً مما سبق اختارت الباحثة موضوع "دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل" بهدف لفت الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بالفيلم الوثائقي الموجّه للطفل سواء بإنشاء قنوات متخصصة أو بإنتاج أفلام وثائقية تُعرض على باقي قنوات الأطفال، فإعلام الطفل بشكل عام والفيلم الوثائقي على وجه الخصوص له أهمية كبيرة في بناء ثقافة الطفل.

ولمعالجة هذا الموضوع سيتم تحديد مفهوم ثقافة الطفل ومفهوم الأفلام الوثائقية، ثم التطرق إلى جزئية برامج الأطفال التلفزيونية بعرض شروط برامج الأطفال الجيدة وأهدافها ومتطلبات الكتابة للطفولة بمراحلها العمرية المختلفة، وعنصر برامج الأطفال بين الواقع والخيال. وجزئية أخرى تُخصّص للحديث عن الفيلم الوثائقي والطفل ويتضمّن عناصر حول أشهر أنواع الأفلام الوثائقية الموجهة للطفل وأسباب انجذاب الطفل إليها، والتطرق إلى المبادئ الجمالية الرئيسة في سينما الأطفال الوثائقية، وكذلك خصائص الفيلم الوثائقي الموجّه للطفل ومدته حسب أطوار مرحلة الطفولة، ثم عرض فوائد الفيلم الوثائقي للطفل وذكر أهدافه التثقيفية في مرحلة الطفولة.

#### أولاً- مفهوم ثقافة الأطفال:

تُعرّف ثقافة الأطفال بأنها: "جميع أنواع النشاطات التي يبتكرها الأطفال، والأشغال التي ينجزونها مستخدمين مواد بيئتهم وأساليب تراثهم الثقافي، للتعبير بحرية عن خلجات وجدانهم إزاء الأحداث التي تقع لهم من خلال الأغاني والألعاب التي يخترعونها والتمثيلات، ومنجزاتهم".<sup>6</sup>

وتعتبر ثقافة الأطفال إحدى الثقافات الفرعية في المجتمع، تشترك معه في مجموعة خصائص كما تنفرد بخصائص أخرى. فالطفولة مرحلة عمرية يميّز بها الطفل بعادات وتقاليد وميول وأوجه نشاط وأنماط سلوك، كما يمتلك قاموساً لغوياً خاصاً به ولديه طرق خاصة في اللعب ويتمتع بأساليب خاصة في التعبير عن نفسه، وله أزياء ونتاجات فنية ومادية تميّزه، أي أسلوب حياة خاص به. كما يمتلك قدرات عقلية وجسمية ونفسية واجتماعية ولغوية تتوافق واحتياجاته، وتتناسب مع احتياجات كل طور من أطوار الطفولة. أي هناك ثقافة خاصة بطور الطفولة المبكرة وأخرى بالطفولة المتوسطة وثقافة لمرحلة الطفولة المتأخرة.<sup>7</sup>

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

وتعرّف ثقافة الأطفال أيضا على أنها "أسلوب الحياة المميز لجماعة الأطفال في مجتمع معين".<sup>8</sup> وعلى هذا الأساس جاء المفهوم يتماشى مع تعريف تايلور الشامل للثقافة الذي يضم المعرفة والعقيدة والفن والقانون والعادات والتقاليد والقيم والتراث وباختصار النمط الكلي لحياة مجتمع ما.

### ثانيا- مفهوم الفيلم الوثائقي:

قبل تقديم تعريفات للفيلم الوثائقي تشير الباحثة إلى تعدد تسمياته التي من أشهرها الفيلم التسجيلي، وتنضم الباحثة إلى الفريق الذي لا يرى اختلافا بين التسميتين وبالتالي سيتم استخدامهما بشكل مترادف. كما تجدر الإشارة إلى أنه في بعض الأحيان يُستخدم مصطلح البرنامج عوضا عن الفيلم أو السينما، وهو اختلاف شكلي راجع لأن بداية الفيلم الوثائقي كانت في السينما لذلك نقول سينما تسجيلية أو فيلم وثائقي، وبانتقاله إلى شاشة التلفزيون اقترن بلفظ برنامج وثائقي أو شريط وثائقي. ولن ندخل في الجدل الحاصل في التسميات وسنكتفي بعرض بعض التعريفات فيما يلي.

عرّف رائد السينما التسجيلية جون جريسون John Grierson الفيلم الوثائقي على أنه: «المعالجة الخلاقة للواقع» ويحيل هذا التعريف إلى إمكانية صياغة الواقع بشكل فني مؤثر بحيث لا يكتفي المخرج بمجرد تسجيل الواقع - بمعنى نسخه وتوثيقه - بل لكل مخرج رؤية خاصة من حيث اختياره للموضوعات الواقعية وانتقائه وترتيبه للعناصر التي من شأنها أن تؤثر في المشاهد.<sup>9</sup>

قدّم الاتحاد الدولي للسينما التسجيلية عام 1948 تعريفا شاملا للفيلم التسجيلي فاعتبره "كافة أساليب التسجيل على فيلم لأي مظهر للحقيقة يتم عرضه، إما بوسائل التصوير المباشر أو بإعادة بنائه بصدق وعند الضرورة، وذلك لحفز المشاهد على عمل شيء أو لتوسيع مدارك المعرفة والفهم الإنسانية، أو لوضع حلول واقعية لمختلف المشاكل في عالم الاقتصاد أو الثقافة أو العلاقات الإنسانية".<sup>10</sup>

ويشير تعريف دائرة المعارف البريطانية إلى أن "الفيلم التسجيلي نوع من الأفلام السينمائية غير الروائية بمعنى أنه لا يتضمن قصة ولا خيال، وهو يتخذ مادته السينمائية من واقع الحياة، فيصور هذا الواقع ويفسر حقائقه المادية، أو يعيد تكوين هذا الواقع وتعديله بشكل يعبر عن الحقيقة الواقعية هادفا بذلك تحقيق غرض تعليمي أو عرض ترفيهي".<sup>11</sup> وترى الباحثة أن الترفيه يمثل عنصر

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

جذب للفيلم الوثائقي ويؤدي وظائف مباشرة مثل التسلية وملء وقت الفراغ، ووظائف غير مباشرة كالترقيف.

### ثالثا- برامج الأطفال التلفزيونية:

إن الحديث عن برامج الأطفال يقتضي التنويه إلى أن برامج الأطفال كانت تُعرض على قنوات عربية عامة قبل نهاية القرن العشرين إذ تُخصَّص فترة زمنية ضمن السلسلة البرمجية العامة لعرضها، وتطوّر المشهد الإعلامي العربي بإنشاء قنوات تلفزيونية عربية متخصصة للأطفال في القرن الحادي والعشرين أشهرها القنوات التالية: قناة **سبيستون** وأول بث لها كان عام 2000 وتعرض القناة أهم المسلسلات الكرتونية العالميّة إضافة إلى الأغاني والأناشيد والفقرات القصيرة. قناة MBC3 وبدأ بثها عام 2004 وتعرض رسوما متحركة وأفلاما ومسلسلات أطفال إضافة إلى البرامج والفقرات القصيرة.

وهناك قائمة أخرى من القنوات نذكرها على سبيل المثال وليس الحصر مرتبة تبعا لتاريخ إنشائها كالآتي: قناة **المجد للأطفال** 2004، قناة **الجزيرة للأطفال (قناة ج)** 2005 وقناة **براعم** 2009 وتم تشفير هاتين القناتين في عام 2016 وقد لقي هذا القرار استياء كبيرا لدى الجمهور، قناة **طيور الجنة** 2009 التي تم تشفيرها هي الأخرى بعد سنوات من مجانية البث. قناة **كراميش** 2009، قناة **ماجد** 2015.

ويمكن تصنيف القنوات السابقة إلى مجموعتين تتمثل الأولى في القنوات المتنوعة المضمون التي تبثّ رسوما متحركة وبرامجا ومسلسلات أو أفلام أطفال والأناشيد أيضا، والمجموعة الأخرى الممثلة في القنوات الغنائية التي تقتصر على عرض الأغاني والأناشيد والموسيقى. وبين هاتين المجموعتين تظهر في العشرين نوفمبر -اليوم العالمي للطفل- سنة 2017 قناة **ناشونال جيوغرافيك كيدز أبو ظبي** وهي القناة الوثائقية الأولى الناطقة بالعربية الموجهة للطفل في العالم العربي بهدف تحفيزه على استكشاف الكوكب وإثارة شغفه بالمعارف والعلوم فحملت شعار "غامر واكتشف". هذا الهدف هو جزء من المشروع التنويري الذي يمتدّ إلى القناة الأم أي قناة **ناشونال جيوغرافيك أبو ظبي** التي بدأ بثها في 2009 فانتشرت بين فئات الكبار والصغار على حد سواء حاملة رسالة راقية جوهرها الترقيف والنهوض بالمجتمع.

تعرض قناة "ناشونال جيوغرافيك كيدز أبو ظبي" محتوى متنوعا في مجالات العلوم والطبيعة والجغرافيا والحياة البرية والمغامرات والاستكشاف والخيال العلمي والفضاء، وأشهر برامجها:

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

وُلد ليكتشف، حيوانات صديقة على غير العادة، مغامرات حول العالم، ألعاب العقل، هيا بنا نخترع، الاستكشاف- الفضاء الخارجي، المساهمون الصغار، رجل العلوم، العلوم المبسطة، العباقرة الخارقون، مدرسة العباقرة. وتتميز بأسلوب عرضها الجذاب والمبسّط وبتقديمها لبرامجها في قالب ترفيهي مما أكسبها جمهورا واسعا من الأطفال، كما لقيت تأييدا في الأوساط النخبوية المهمة بإعلام الطفل. ويمكن القول إنها نموذج لبرامج الأطفال الجيدة، وفي العنصر اللاحق شروط برامج الأطفال الجيدة.

### 1. شروط برامج الأطفال الجيدة:

"لإعلام الطفل أسلوب خاص، يشعر الطفل بخفته وسهولته وجماله، فتوحي له الكلمة والصورة بالفكرة المؤثرة وتهذب الفكرة ذوقه، وتتيح لخياله أن ينطلق، وتغري الألوان بصره والمؤثرات الصوتية حسه، فيكون رفيقا للطفل يقدم له الحقيقة والفكرة دون أن يتعبه أو يرهقه". ويتطلب ذلك الاهتمام بشكل البرنامج ومضمونه، لأن إغفال الشكل يؤدي إلى فشل المضمون، كما أن الشكل المبهر الخالي من المضمون الهادف يفقد روعته وإبهاره ولا يحقق التأثير المطلوب في الطفل.<sup>12</sup> وهناك مجموعة أخرى من القواعد والضوابط التي تُشترط في البرنامج الجيد يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- استخدام العبارات البسيطة والابتعاد عن العبارات المجردة التي لا تنسجم مع التسلسل المنطقي ومع الواقع المحيط بالطفل.
- إشراف لجان متخصصة وذوي الخبرات على إعداد هذه البرامج.<sup>13</sup> مع ضرورة التنسيق بين مختلف الأجهزة والمؤسسات المعنية بالطفل لوضع أهداف مشتركة وتوحيد المعلومات وضمان عدم تناقضها وبالتالي تفادي تشتت ذهن الطفل.
- أن يتبع البرنامج أهدافا إيجابية واضحة ضمن خطة تنموية متكاملة لأن ذلك سيُنَجِّبه التخبط في المشاكل وسيساهم في نجاحه وتأدية وظائفه التربوية والترفيهية والتثقيفية بشكل عام.
- تفعيل دور الطفل من خلال إشراكه في بعض النشاطات كتنظيم مسابقات أو إشراكه في بعض الفعاليات التي تتطلب البحث عن معلومة أو التفكير في حلّ مشكلة ما، أو الإجابة على سؤال ما أو إعداد تجربة ما أو القيام بعمل فيه فائدة ومنتعة.
- ضرورة تكرار الموضوعات الإيجابية المرتبطة بالقيم حتى يتشبع الطفل منها وتصبح جزءا من سلوكه ومعتقده، من خلال اتباع أسلوب التركيز والعرض الموزع على فترات مع الابتعاد عن الأسلوب المباشر في المخاطبة واعتماد أسلوب العرض المتنوع كاستخدام الأغاني الهادفة تارة والتمثيلات القصيرة تارة أخرى، وتتبع حالة ما في مرات أخرى.<sup>14</sup>

- تحفيز تفكير الطفل خاصة وأنّ الطفل كثير الأسئلة لدرجة أن البعض يصف مرحلة الطفولة بمرحلة السؤال، لكن ينبغي ألاّ يقدّم الجواب أو الحل بصورة مباشرة.
- تنمية الحصيلة اللغوية للطفل، لما للغة من أهميّة في الفهم والإدراك، كما أنّ اللغة هي وسيلة الطفل للتعبير عن أفكاره.<sup>15</sup>
- توخي الحذر عند انتقاء الموضوعات الخيالية فلا تخرج عن وظيفة تنمية ملكة الخيال التكويني للطفل ولا تصل إلى مستوى التوهم والخيال الهدّام.
- اعتماد أسلوب يناسب كل مرحلة عمرية، ويفضل أن يكون هناك برامج مخصصة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ثلاث سنوات وست سنوات ولون آخر من البرامج للفئة العمرية ما بين ست سنوات واثننا عشرة سنة. فهناك اختلاف في أطوار النمو لمرحلة الطفولة.<sup>16</sup>
- تبني طريقة اللعب والفكاهة والمرح في تعليم الطفل وتثقيفه، والحرص على تسليته وإسعاده.
- الاهتمام بإعداد برامج في البيئة الخارجية، لتوسيع مدارك الطفل وإثراء خبراته.
- تلقين الطفل كيفية التعامل مع تكنولوجيا العصر لإعداده لعالم الغد.<sup>17</sup>
- تحفيز الطفل على التنبؤ كالسماح له بالتنبؤ بمضمون الفقرات القادمة وكأته مشترك في الأداء، هذا ما يضمن الحفاظ على انتباه الطفل وتركيزه لمدة أطول.<sup>18</sup>

## 2. أهداف برامج الأطفال:

- التنفيس عن المشاعر المكبوتة لدى الطفل التي لا يستطيع التعبير عنها في حياته العادية.
- إشباع حب المغامرة لدى الطفل.
- بناء القدرة التحليلية ثم النقدية لدى الطفل.<sup>19</sup>
- تعليم العديد من المهارات.
- تنمية شعور الحب والانتماء، وتعزيز السلوكيات والاتجاهات السوية نحو الغير.
- تقديم العلم والتجربة بطريقة ممتعة وجذابة ومشوقة.
- الترفيه الإيجابي الهادف وتحقيق المتعة للطفل.
- أن تكون نافذة يطلّ من خلالها الطفل على عالم متنوع من العلم والفن والفكر.<sup>20</sup>
- إثراء الحصيلة اللغوية للطفل، فاكتسابه لثروة لفظية من خلال البرامج يزيد من قدرته على التعبير ويسر له فهم اللغة العربية الفصحى بطريقة عملية فيتعلم منها الطفل القواعد والنحو أكثر مما يتعلمه من الكتب التي تنتهج أسلوب التنظير.<sup>21</sup>



- تعليم الأطفال ضبط الوقت واحترامه، فمن المعلوم أن البرامج تُعرض في وقت محدد مما يجعل الطفل يدرك أهمية التقيد بأزمة العرض وهكذا يعتاد الطفل على معرفة الوقت.<sup>22</sup>
- التركيز على تعزيز الجانب العاطفي بين الطفل وأسرته.
- تنمية إحساس الطفل بالثقة بالنفس وبالآخرين.
- تعليم الطفل احترام القواعد والنظام، وتلقيه الصواب والخطأ والتمييز بينهما.<sup>23</sup>

### 3. متطلبات الكتابة للطفولة بمراحلها العمرية المختلفة:

يُنظر إلى مرحلة الطفولة على أنها المرحلة العمرية التي تمتد من سن الثالثة إلى سن الرابعة عشر أو الخامسة عشر. ويُقسّم علماء التربية وعلم النفس هذه الفترة إلى مراحل متميزة في نمو الطفل جسدياً وعقلياً. فالطفل ينمو تدريجياً وكل مرحلة تحضّر للدخول في المرحلة التي تليها، وهناك تكامل وتأثير بين مختلف المراحل. وتوجد تقسيمات عديدة لهذه المراحل من بينها تقسيمها إلى أربعة مراحل، تمتد الأولى من الثالثة إلى السادسة، وتبدأ المرحلة الثانية من السادسة إلى التاسعة، أما المرحلة الثالثة فتقع بين التاسعة والثانية عشرة، والمرحلة الأخيرة تنحصر بين الثانية عشرة والخامسة عشر.<sup>24</sup> وسيتم التركيز على المراحل الثلاثة الأولى على اعتبار أن المرحلة الأخيرة تُمثل مرحلة المراهقة.

ويحتاج إعداد برامج الأطفال إلى مهارات فنية على مستويات عدة وفي مختلف مراحل الإعداد. ويشرف على التحضيرات مختصون كل في مجاله، مع العلم أن أهداف البرنامج تكون محددة حسب المرحلة العمرية المستهدفة من الطفولة، فعلى أساسها يتم كتابة النص الذي تسيّر وفقه باقي التحضيرات.<sup>25</sup> وبالتالي ينبغي على المؤلف أو كاتب البرنامج أن يكون مُلمّاً بخصائص كل مرحلة ليُعَدّ برنامجاً يلبي احتياجات الطفل المتنوعة ويتناسب مع مراحل نموه العقلي والنفسي. فأسلوب العرض والتناول واللغة المستخدمة والوسائل المستخدمة كلّها تختلف حسب درجة نمو الطفل أي وفقاً لخصائص الفئة العمرية والأهداف التي ينبغي تحقيقها.

#### ❖ مرحلة الطفولة المبكرة (ثلاث سنوات - ست سنوات):

تبدأ علاقة الطفل بالتلفزيون في سن الثالثة، حيث يصبح التلفزيون مصدراً أساسياً للتسلية والترفيه عنه، خاصة وأن الطفل متواجد في المنزل أغلب الوقت، وبما أن اللهو واللعب يميزان هذه المرحلة وهما من الأمور التي يحبها الطفل وتستهوّه فإنه ينبغي الاعتماد عليهما كطريقة لعرض الأفكار والمعلومات، ويمكن كذلك استخدام المواد الخيالية في البرنامج شريطة أن تكون في حدود المعقول

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

فلا تؤدي إلى عزلة الطفل وإغراقه في عالم الخيال. كما يُشترط في البرنامج الواحد معالجته لموضوع أو فكرة واحدة كي لا يتشتت ذهن الطفل بين كثرة الموضوعات.<sup>26</sup>

يعمل الطفل على إضفاء الحركة الجزئية أو المطلقة على الأشياء الجامدة ويتجلى ذلك في تحريكه لألعابه، كما يكتسب اللغة بتوظيفه للكلمات والجمل عند تعامله مع الآخرين أو أثناء محاورته للعبته، وبعد سن الثالثة يتمكن من تسمية الأشياء بأسمائها ويستعمل مفردات في حدود ألف كلمة.<sup>27</sup>

وبما أن الطفل في هذه المرحلة يتميز بحب الاستطلاع ولديه خبرة محدودة وضعيفة فإنه سيكتسب من خلال التلفزيون معارف وخبرات ويتعلم مهارات لغوية، ويغرس فيه القيم والعادات، وتحوّل البرامج المخصصة للطفل إلى نافذة يطلّ من خلالها على الحياة ويتعرّف على المجتمع من حوله سواء بعرض جوانبه الإيجابية ومظاهر الخير، أو بعرض الجوانب السلبية ومظاهر الشر، فبرامج الأطفال يجب أن تتحرّر من النظرة المثالية للحياة وعليها أن تبرز تناقضاتها وتعرض الصراع بين الحق والباطل وبين الصدق والكذب وبين العدل والظلم<sup>28</sup> فتزيّن له الخير وتقبح له الشر مع تأكيدها على انتصار الحق والخير والصدق والعدل في نهاية الأمر.<sup>29</sup>

#### ❖ المرحلة الثانية (ست سنوات-تسع سنوات):

يُعرف الطفل في هذه المرحلة بميله لكل ما هو عملي ونفوره مما هو شفوي لفظي، كما يتميز بعدم التركيز لمدة طويلة في موضوع معين خاصة إذا كان شفويا، ويطغى على هذه المرحلة الخيال المطلق، فالطفل مولع بالقصص الخيالية وينطلق لديه التخيل الإبداعي فتكثر لديه الأسئلة عن الأسباب ويميل إلى مشاهدة المغامرات والعجائب، إضافة إلى تمتعه بالقدرة على التمييز بين الخيال والواقع.<sup>30</sup>

وأثناء هذه المرحلة يبدأ خروج الطفل من المنزل بذهابه إلى المدرسة أو للنزهة مع الأسرة، ويصبح للتلفزيون منافسون آخرون فتتخفص عدد ساعات مشاهدته ويدخل الطفل في نقاشات مع زملائه حول ما يشاهده على التلفزيون، وتتميز هذه المرحلة كذلك بقدرة الطفل على التفرقة بين الخيال والواقع. ومهمة التلفزيون هنا مساعدة الطفل على الانتقال من الخيال إلى الواقع بسهولة، ويزوده بكل ما يعينه على التعامل مع العالم الخارجي بطريقة سوية.

#### ❖ المرحلة الثالثة (تسع سنوات- اثنتا عشرة سنة):

وتمثل مرحلة الطفولة المتأخرة أو مرحلة ما قبل المراهقة. خلالها ينمو شعور المنافسة لدى الطفل وحب الانطلاق والمرح، ويكون الطفل بحاجة إلى الإحساس بالأمن والطمأنينة والتقدير من الكبار،

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

وتتكوّن لديه رغبة في تحمل المسؤولية. ومن السمات الأخرى التي تميز الطفل النشاط والحركة الدائمة وحب كل ما هو عملي، وبالتالي يجب أن تعمل برامج التلفزيون على إشباع هذه الرغبات لتحقيق التوازن الداخلي لدى الطفل.<sup>31</sup>

#### 4. برامج الأطفال بين الواقع و الخيال:

يحتلّ الخيال مساحة كبيرة في النشاط العقلي للطفل منذ سنواته الأولى، فهو يتخيّل وقائع وحوادث ويستخدم الخيال عند اللعب، كما أن كثيرا من أفكاره وآماله تقوم على الخيال. وهناك شكلان من التخيل، الأول هو تخيل إبداعي والآخر تخيل تقليدي. يرتبط التخيل الإبداعي بالصور التي لم يسبق تكوينها من قبل، أما في حالة التخيل التقليدي فيستحضر الشخص صورا أو تخيلات أنشأها آخرون. وكمثال على ذلك تخيل الطفل للشخصيات عند قراءته لقصة، فهو يستحضر صورا أنشأها كاتب القصة. وما يخرج عن هذين النوعين يعتبر في الغالب توهما أو شرودا.<sup>32</sup>

وتختلف الوظائف التي تؤديها برامج الأطفال الخيالية عن وظائف برامج الأطفال المرتبطة بالواقع، لأنها غالبا ما تكون متنفسا للأطفال حيث يُشبعون رغباتهم التي لا يستطيعون إرضاءها في الواقع، كما تحرّر هذه البرامج شعور الطفل بالخوف وتخفف من قلقه وتسعده. لذلك تحظى برامج الخيال بنسبة مشاهدة عالية من جانب الأطفال. أما البرامج التي تتصل بالواقع فوظيفتها تحفيز الطفل على مواجهة مشاكله بتشجيعه على بذل مزيد من الجهد والتفكير بإيجابية، كما تثري رصيد الطفل بالتجارب والخبرات والثقافة والمعرفة خاصة إذا ما قورنت ببرامج الخيال. هذه الأخيرة وُجّهت لها عديد من الانتقادات نظرا لتسببها في هروب الطفل من الواقع وانفصامه عنه، كما أنها تؤدي إلى خلطه بين الوهم والحقيقة. لكن هناك مؤيدون لبرامج الخيال ويرون أنها تشجع الطفل على الابتكار وتنمي لديه القدرات العقلية وهي متنفس له.<sup>33</sup>

إذ يلعب الخيال دورا مهما في نمو الطفل، فالعديد من نشاطاته ومهاراته الحركية تقوم على الخيال. ويقال "إن المخيلة هيأت للطفل أن يبصر ويسمع ويذوق ويشم ويلمس بعقله ما لا يستطيع الإحساس به عن طريق حواسه مباشرة، وتصور ما ليس له وجود أصلا". فالقدرة على التخيل لها أهمية كبيرة في خلق الصور الذهنية التي تقود إلى الفهم، ولولاها لما استطاع الطفل استيعاب معنى أدبي أو فني أو علمي، ولما تمكّن من إدراك ما يحدث حوله ولما أقدم على رسم خطط المستقبل، فالخيال أسلوب لتجسيد وقائع وأحداث وأفكار ومفاهيم في شكل جديد يبعث فيها الحياة. ومن هنا تأتي أهمية تهيئة أذهان الأطفال للتخيل.<sup>34</sup>

وللخيال العلمي على وجه التحديد دور في إدراك معاني المفاهيم العلمية لدى الطفل لأن المفهوم العلمي هو الصورة الذهنية للأشياء. ويتيح التخيل للطفل فهم المعاني والعلاقات والحقائق بطريقة ممتعة ومشوقة، كما يحفز قواه العقلية لتخيل أي مشكلة بطريقة إبداعية، فيتكوّن لدينا جيل من يستطيع التكيف مع التغيرات.<sup>35</sup>

انطلاقاً مما سبق تتضح أهمية الخيال بالنسبة للطفل ومن ثم أهمية برامج الأطفال الخيالية ويأتي رأي وسط يدعو إلى المزوجة بين النوعين الواقعي والخيالي لأنهما مكملان لبعضهما البعض، فكل منهما له إيجابيات ينبغي التركيز عليها واستغلالها في الموقع الصحيح وفي المرحلة العمرية المناسبة من مرحلة الطفولة.<sup>36</sup> وترى الباحثة أن الأفلام الوثائقية نوع برامجي يعتمد على الواقع بالدرجة الأولى لكنه يعمل على تنمية الخيال العلمي والإبداعي لدى الطفل مما يزيد من أهمية هذا النوع البرامجي لمرحلة الطفولة والعناصر اللاحقة ستوضح ذلك.

#### رابعاً- الفيلم الوثائقي والطفل:

إن إنتاج أفلام وثائقية خاصة بالطفل أمر بالغ الأهمية ليس لمجرد الترفيه عنه فقط بل لإشباع حاجاته إلى المعرفة والاستطلاع، وكذلك تلبية حاجات أخرى مثل التوافق والتكيف الاجتماعي، والحاجة إلى التقليد للتعبير عن الذات، فالفيلم الوثائقي يمثل أفضل السبل لإشباع حاجات الطفل وتوسيع آفاقه. ويتيح الفيلم الوثائقي للطفل السفر من مكان لآخر دون الحاجة إلى التنقل الفعلي المادي، فيكفي أن يشاهد الطفل الأفلام الوثائقية حول مختلف المناطق سواء على شاشة التلفزيون أو في عروض المدارس والنوادي أو قاعات السينما. كما تسمح وظيفة التسجيل التاريخي أو التوثيق بالربط بين الأجيال ونقل التراث والتواصل بين الماضي والحاضر فيشاهد طفل اليوم وطفل الغد أحداث الماضي ليثري معلوماته ويزيد من خبراته، فالفيلم الوثائقي يساهم أيضاً في عملية التطبع والتنشئة الاجتماعية.<sup>37</sup>

كما يلعب الفيلم الوثائقي دوراً في دفع العملية التعليمية وجعلها أكثر حيوية، وللفيلم التسجيلي أهمية في تعريف الطفل بالشخصيات من خلال تقديم نماذج متنوعة في مجال الثقافة والعلم والعمل.<sup>38</sup> ويعتقد الناقد السينمائي البريطاني الدكتور روجر مانفل أن الأفلام أو السينما تتمتع بسحر لا ينافسها فن آخر، ويرجع ذلك إلى جاذبية الصورة المتحركة التي تستقطب إعجاب الطفل ويستوعبها بسهولة أكثر من الحكايات التي تعتمد على الكلمات والحوار فقط خاصة لدى الطفل ذو المستوى الضعيف في القراءة.<sup>39</sup>

وحظي الفيلم الوثائقي باهتمام مبكّر لدى معظم دول العالم المتقدم، فقد أدركت دول مثل بريطانيا والدنمارك وفنلندا وروسيا وألمانيا والنرويج وإيطاليا أهمية إنتاج الأفلام الوثائقية الخاصة بالطفل.<sup>40</sup> وعرفت سينما الأطفال تطورا خاصة بالنسبة لأفلام التحريك أو أفلام الرسوم المتحركة، ضف إلى ذلك الأفلام الإثنوغرافية وأفلام عالم الحيوان والطبيعة. وتوصلت دراسات وتجارب في مجال سينما الأطفال إلى قدرة الأفلام الوثائقية على مخاطبة خيال الطفل ووجدانه خاصة الأنواع التالية: الفيلم التعليمي أو التربوي وأفلام التحريك والفيلم العلمي.<sup>41</sup> وفي العنصر الموالي شرح لهذه الأنواع.

## 1. أشهر أنواع الأفلام الوثائقية الموجهة للطفل:

### أ. الفيلم التعليمي:

إن علاقة السينما الوثائقية بالطفل بدأت من خلال الفيلم الوثائقي التعليمي. هذا الأخير يمثل وسيلة تعليمية تعتمد على عرض المعلومات سمعيا وبصريا بطريقة جذابة ومشوقة فتساعد على فهم التلاميذ لما هو صعب وتساعد المدرس أيضا في شرح درسه وإيصال المعلومات.<sup>42</sup> وترجع أسباب ظهور هذا النوع من الأفلام إلى حاجة المدرسين للاستعانة بوسائل تساعد على الشرح، ولهذا السبب كانوا يصطحبون التلاميذ إلى المتاحف والأماكن الأثرية. لكن أصبح الأمر صعبا مع تزايد عدد التلاميذ وتنوع المواد الدراسية، وهكذا تحوّل هذا النوع من الأفلام إلى وسيلة مساعدة ومهمة في التعليم، خاصة وأنها تتمتع بمجموعة من المميزات منها:

- العرض العلمي للمضمون والاكتفاء بالوصف دون البناء الدرامي.
- الإيجاز والوضوح في عرض الموضوع.
- اتباع التسلسل العلمي عند ترتيب اللقطات بهدف الشرح الأمثل للموضوع.<sup>43</sup>

### كما تحقق هذه الأفلام مجموعة من الفوائد أبرزها:

- زيادة التركيز والانتباه لدى الطلبة.
- سهولة فهم الموضوع.
- تقليص مدّة التعلم.
- تذكر المعلومات وبقاؤها راسخة في الذاكرة.<sup>44</sup>
- تخلق ميولا لدى التلميذ لدراسة الموضوعات التي تمّ عرضها بطريقة مشوقة، وتوسع من اهتماماته كما تحبب إليه الاطلاع والدراسة.
- تتغلب على الموانع الطبيعية للتعلم كالمسافة والحجم والخطورة، فتصور لنا حياة الشعوب في المناطق المنعزلة، وتنقلنا إلى عالم الكائنات الحية في البحار والمحيطات. وتأخذنا في جولة

داخل جسم الإنسان وتصور لنا الظواهر العلمية الخطيرة، فتتيح وصول المعرفة بمختلف أشكالها إلى المتعلم.

- تجعل التلاميذ يشاهدون العروض التعليمية بطريقة واضحة ومقربة وكأنهم جالسون في الصفوف الأمامية، وتجعلهم يتقاسمون خبراتهم حول ما شاهدوه.<sup>45</sup>
- تحفز التلميذ على القيام بأنشطة تعليمية أخرى كالقراءة أو الذهاب إلى المكتبة بهدف زيادة خبرته في موضوع الفيلم الذي شاهده.
- تُنمي الأفلام قدرة الطفل على التفكير وحل المشكلات، لأنها لا تعتمد على أسلوب التلقين بقدر اعتمادها التدريب على إدراك العلاقات بين العناصر وتقدم الجانب المحسوس لاكتساب الخبرة أكثر من الشرح النظري، لذلك فإن الطفل يتذكر محتوى الفيلم ويطبق ما تعلمه لأنه مدرك للعلاقات بين عناصر الموضوع ولم يحم فقط حفظه للدرس.<sup>46</sup>

ويتم إعداد مضمون هذه الأفلام بالتنسيق بين المؤسسات الإعلامية والتعليمية حيث يتم العودة إلى المناهج الدراسية ليأخذ الفيلم شكل الدرس الموجه للفصل الدراسي. وتتنوع موضوعاتها وفقا للجمهور المستهدف كالمدراس والمعاهد والجامعات والهيئات الحرفية وغيرها.<sup>47</sup>

### ب. أفلام التحريك:

تعتمد على تحريك الرسوم على الشاشة لذلك يطلق عليها تسمية الرسوم المتحركة. وتتيح هذه الأخيرة إمكانية تمثيل الواقع المجرد الذي لا يمكن إدراكه بالحواس وذلك بفضل توظيفها للخيال دون قيود وقوانين "فإذا كان الفيلم يملك القدرة على استحضار الواقع بكل تفاصيله وجزئياته فإنه يملك القدرة نفسها على بلوغ أبعد آفاق الخيال". وتتجاوز الرسوم المتحركة مشكلات إخراج التمثيل الحي، فمثلا يمكن من خلالها هدم مدينة بأكملها وإعادة بنائها في وقت قصير وبأقل جهد مقارنة بالهيل السينمائية. ويمكن تصوير نمو النباتات وعالم الميكروبات بفضل استفادة التحريك من التقدم الحاصل في تكنولوجيا الاتصال وعالم الحاسب الآلي والبرامج المعلوماتية. أي إن التحريك هو الروح الذي تنبعث في الصور الجامدة واستطاع خلق واقع خاص من موضوع مجرد وصعب التصوير في حدود الواقع، وأصبح وسيطا فنيا حطّم الحاجز بين الواقع والخيال.<sup>48</sup>

### ج. الفيلم العلمي:

يختص هذا النوع من الأفلام بالموضوعات العلمية مثل الموضوعات الطبية والبيئية والتكنولوجيا وغيرها. وتسعى إلى معالجة هذه الموضوعات بعمق وبأسلوب علمي مبسط وواضح، وقد تكون اللقطات طويلة نظرا لغزارة المادة العلمية فالمهم هو تيسير فهم الموضوع، خاصة وأن الأفلام

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

العلمية تحولت إلى وسيلة مهمة لنشر العلم والمعلومات والتكنولوجيا وتبسيط الصعب منها، وأصبحت تستخدم في المؤسسات التعليمية وفي المؤتمرات.<sup>49</sup> كما أصبحت الأفلام العلمية تُعدّ من الأفلام التثقيفية الهامة التي تسعى إلى رفع إدراك المشاهد للعلم واستيعاب الأمور التقنية والتكنولوجية وبالتالي إثراء خبراته المعرفية.<sup>50</sup>

وتكون أول خطوة للسير في طريق التربية العلمية والتكنولوجية بغرس التفكير العلمي لديه، لأنه كفيل بتحقيق قفزة نوعية نحو الأعلى ونحو الرفاهية والرخاء، والابتعاد عن هذا النهج هو تخلف عن ركب التقدم. وللالتحاق بهذا الركب يجب إكساب الطفل المعلومات العلمية والتكنولوجية مع تلقيه كيفية توظيف تلك المعلومات في صنع المعرفة، وكمية المعلومات التي يكتسبها الطفل هي سلاح للدخول في عالم العلم والمعرفة. ويتطلب الانضمام لهذا العالم أيضا تشجيع الطفل على الخيال العلمي.<sup>51</sup>

فقد أضحت الخيال العلمي مفتاح العلوم الحديثة وأساس تطورها، كما أصبح له دور كبير في تنمية قدرات الطفل العقلية، لأنه يتيح له السفر إلى أماكن بعيدة وأزمنة سحيقة ومعايشة الأحداث والتفاعل معها بالتفكير في إيجاد الحلول لمواجهة المشكلات التي تواجه أبطال الحدث، ليكون الطفل قد تلقى نوعا من التدريب على المناورة وتعويد العقل على التخطيط والمبادرة للوصول إلى الهدف في أسرع وقت وتعويد كذلك على كل ما هو جديد وغريب.<sup>52</sup> وتجدر الإشارة إلى أن تحصيل المعلومات لوحده غير كاف بل يجب تدريب الطفل على التخيل وعلى التفكير الإبداعي لأنه البذرة الأولى لعمليات الاختراع والاكتشاف.<sup>53</sup> وعلى هذا الأساس ترى الباحثة أن الأفلام الوثائقية كفيلة بوضع الطفل على أول الطريق للسير في هذه الرحلة العلمية وإعداده ليكون عالما في الغد.

وتعتمد الأفلام العلمية على كاميرات وعدسات من نوع خاص، كما أن خاصية الحركة التي تصوّر بها هذه الأفلام -والأفلام التعليمية أيضا- تقوم على عدة أساليب منها: الحركة البطيئة- الحركة السريعة- التصوير الميكروسكوبي- التصوير التليسكوبي- الرسوم المتحركة<sup>54</sup> وقد تم التطرق إلى هذه الأخيرة في العنصر السابق كنوع خاص من الأفلام الوثائقية تدعى بأفلام التحريك.

## 2. أسباب انجذاب الطفل للفيلم الوثائقي:

إن انجذاب الطفل إلى الفيلم الوثائقي راجع بالدرجة الأولى إلى سحر الشاشة التلفزيونية والسينمائية إضافة إلى مجموعة أخرى من العوامل نذكرها كالاتي:

- تنوع الموضوعات التي تطرحها الأفلام الوثائقية وغناها واتساع عوالمها، ومعالجة الفيلم الوثائقي لكل تفاصيل الموضوع مع الشرح الدقيق لها.
- تجاوز الفيلم الوثائقي للحدود المكانية بوضوله إلى الأماكن الغريبة والناثية، وتجاوزه لعامل الزمن من خلال السفر عبر العصور التاريخية المختلفة.
- الخروج عن المعتاد بتجاوز حدود البصر من خلال عرض أشياء غير مألوفاً للعين، كعرض حركة النجوم والكواكب وصور الكائنات الحية التي لا تراها العين المجردة.
- تنوع طرق عرض الأفلام الوثائقية بفضل استخدام الوسائط والأجهزة الحديثة.
- تنوع عناصر التكوين السينمائي للفيلم الوثائقي فهو غني بالصور والألوان ويجمع بين اللغة والصورة والحركة.<sup>55</sup> وتجدر الإشارة إلى أن "الصورة المتحركة المصحوبة بالصوت في المراحل المبكرة للطفل تتجاوز مع الوعي الحسي والحركي لديه، وتحدث استجابات معينة في إدراكه، تساهم فيما بعد في تشكيل وعيه وتصوراته للأشياء من حوله، لأنه يخترنها وتصبح رصيده الثقافي والوجداني والشعوري". كما أن "الإبهار البصري يتحول مع الوقت إلى إبهار معرفي وثقافي يجعل الطفل يتقبل جل ما يصاحب المادة التلفزيونية من توجيهات وسلوكيات".<sup>56</sup>

### 3. المبادئ الجمالية الرئيسية في سينما الأطفال الوثائقية:

- ❖ "خلق الحركة السينمائية وتنميتها هو الجوهر الذي يُبنى عليه تكتيك فيلم الطفل".
- ❖ التحرر من سيطرة الحوار على الفيلم الوثائقي لكي لا يتسلل الملل إلى الطفل فينصرف عن المشاهدة.
- ❖ تسليط الضوء على المشكلات والموضوعات التي تناسب كل مرحلة من مراحل الطفولة، مع اختيار التكتيك السينمائي المناسب لها.
- ❖ اعتماد الطبيعة بمختلف عناصرها من خضرة وأزهار وغيرها كخلفية لمعظم أفلام الطفل.<sup>57</sup>

### 4. خصائص الفيلم الوثائقي الموجه للطفل:

قبل الحديث عن خصائص الفيلم التسجيلي الموجه للطفل سنذكر مجموعة من الخصائص العامة التي حددها جريرسون أو غيره من الباحثين الذين ذكروا أن الفيلم الوثائقي يستمد موضوعاته من الحياة نفسها ويصور المشاهد الحية والوقائع الحقيقية دون تأليف ودون تمثيل، إذ يركز على التنقل والملاحظة والانتقاء من البيئة الواقعية فلا يعتمد على ممثلين محترفين ولا على مناظر صناعية مفتعلة.<sup>58</sup> كما يتسم الفيلم التسجيلي بالجدية والعمق، فإننتاجه يحتاج إلى بحث شامل لكافة جوانب الموضوع.<sup>59</sup> فهو لا يهدف إلى الربح المادي، بل يهتم بتحقيق أهداف تعليمية وثقافية.<sup>60</sup> وفيما يلي خصائص الفيلم الوثائقي الموجه للطفل على وجه التحديد:



- يسعى الفيلم الوثائقي إلى إظهار القيم الأخلاقية والدينية والإنسانية.
- التصوير الخارجي والانتقال إلى المواقع الحقيقية مما يوسع مدارك الطفل.
- تنوع الموضوعات المعالجة حيث تمتد إلى مختلف جوانب العالم المحيط بالطفل فتزيد من معارفه.
- الاعتماد على التقنيات السينمائية التي من شأنها أن تنشّط الخيال وتضفي عنصر التشويق على الفيلم.<sup>61</sup>

#### 5. مدة الفيلم الوثائقي حسب أطوار مرحلة الطفولة:

تختلف أطوال الفيلم الوثائقي ومدة عرضه تبعا لعدة عوامل مؤثرة منها طبيعة الجمهور المستهدف وخصائصه والميزانية المخصصة لإنتاجه وكذا الوقت اللازم لذلك، إلى جانب موضوع الفيلم والمادة المتوافرة عنه، وكذلك مكان عرض الفيلم.<sup>62</sup> وعلى هذا الأساس ينبغي مراعاة عنصر الوقت أي مدة الفيلم أو البرنامج بما يتناسب مع أطوار مرحلة الطفولة، فعنصر الزمن له تأثير على درجة استيعاب الطفل للرسالة الإعلامية وتحقيقها لأهدافها، فالطفل لا يستطيع تجاوز قدراته الفكرية والاستيعابية الخاصة بطور نموه مهما كانت جاذبية المادة المقدمة له.<sup>63</sup>

وينجذب الطفل في المرحلة الابتدائية إلى الأفلام القصيرة حول العرائس واللعب والحيوانات لأنها مليئة بالحركة والحيوية ومهارات القفز والسباحة والتسلق ولعب الحيوانات الصغيرة مع أمها، كلها أمور تستهوي الطفل كما يُقبل هذا الأخير على ألعاب المهرج في السيرك وال فقرات الكوميديا وغيرها. أما في نهاية المرحلة الابتدائية يتسع إدراك الطفل وتزداد أسئلته لذلك يتجه نحو الأفلام التسجيلية التي تثري معلوماته في مجال العلوم والجغرافيا والتاريخ. وتوصلت الدراسات إلى وجود علاقة بين مدة الفيلم والمرحلة العمرية للطفولة. فالفيلم التسجيلي الذي تقل مدته عن 15 دقيقة يناسب مرحلة الطفولة المبكرة، أما الفيلم التسجيلي الذي تصل مدته 30 دقيقة فيلائم أطفال المرحلة الوسطى. في حين أن الفيلم الذي تزيد مدته عن 30 دقيقة فهو يناسب مرحلة الطفولة المتأخرة كما أن هذه المرحلة تناسبها باقي أطوال الأفلام.<sup>64</sup>

#### 6. فوائد الفيلم الوثائقي للطفل:

- تزيد من قدرة الطفل على التركيز وعلى الانتباه.
- سرعة تعلم الطفل وبالتالي كسب الوقت.
- تعلم أكثر في مدة قصيرة.
- مساعدة ذوي المستوى الضعيف على التعلم.

- توسيع مدارك الطفل وتدريبه على التخيل.
- تقوية ذاكرة الطفل.
- مساعدة الطفل على اكتشاف مواهبه وتفجير قدراته.
- تعزيز الجانب العاطفي للطفل وتكوين مشاعره.<sup>65</sup>
- تنشئة الطفل بطريقة علمية من خلال تعويده على التفكير العلمي الذي يُكسبه الدقة في تفسير الحقائق. تهيؤ التنشئة العلمية للطفل ليكون رجل أعمال أو عالما أو فنانا في المستقبل.
- تولد فيه حب الاستطلاع، كما توسع معرفته نحو بيئته وتجعله أكثر إدراكا.<sup>66</sup>

### 7. الأهداف التثقيفية للأفلام الوثائقية في مرحلة الطفولة:

إن قيام الفيلم الوثائقي بدور تثقيفي هو راجع في الأساس إلى التركيبة الجينية لهذه الأفلام والمغزى الرئيس من إنتاجها، حتى إن بعض الباحثين فضلوا تغيير تسميتها إلى الأفلام الثقافية أو أفلام المعرفة. ونجاح الفيلم الوثائقي في هذا الدور راجع إلى توفيقه بين ثنائية التثقيف والتسلية وجعله من الصعب سهلا ومن البعيد قريبا ومن المعقد بسيطا، وبصفة عامة احترامه لشروط برامج الأطفال الجيدة التي تطرقنا إليها في العناصر السابقة.

والوظيفة التثقيفية للفيلم الوثائقي هي مكّمة للوظيفة التي تؤديها باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وفي عنصر فوائد الفيلم الوثائقي تركيز على مجموعة من الفوائد التي تمثل في الأصل أهدافا يسعى الفيلم الوثائقي إلى تحقيقها، مع الإشارة إلى أن قيام الفيلم الوثائقي بهذا الدور يرتبط بأهداف المجتمع في تكوين ثقافة الفرد عامة وثقافة الطفل على وجه التحديد، فعملية التثقيف مستمرة ومرتبطة.

وتتمثل وظيفة ثقافة الطفل في تحويل المولود الجديد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي من خلال عملية التنشئة التي تشكّل هوية الطفل وتكوّن شخصيته بتحديد سلوكه وتوجيه عمليات النمو العاطفي والمعرفي والاجتماعي لديه.<sup>67</sup> وتثقيف الطفل هو سعي إلى تنمية شخصيته بطريقة متكاملة أي من كافة الجوانب لذلك يجب أن تستهدف العملية التثقيفية للطفل الأبعاد التالية: **البعد الجسمي:** يجب توعية الطفل منذ الصغر بأهمية العناية بجسمه للتمتع بصحة جسمانية أو مستوى صحي ملائم، من خلال ممارسة الرياضة وتناول الغذاء الصحي، وكذلك الوقاية من الأمراض. والتمتع بصحة جيدة يسمح للفرد بممارسة مهنة بسهولة و برفع معنوياته والزيادة من ثقته بنفسه.

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

**البعد العقلي:** أي الاهتمام بالنمو العقلي للطفل والكشف عن استعداداته وتطويرها، والعمل على إكسابه مهارات عقلية كالتفكير السليم والتذكر، وتدريبه على الابتكار وإتقان أسلوب حل المشكلات.<sup>68</sup> فوظيفة الثقافة في تشكيل التفكير لدى الأطفال تساعد على الفهم وعلى اكتشاف حقائق جديدة، ويقال أن التفكير هو جوهر التعليم فلا داعي لحشر المعلومات بشكل زائد في ذهن الأطفال فالمهم هو إدراك الطفل للعلاقات والربط بين المتغيرات من خلال التفكير.<sup>69</sup>

**البعد الانفعالي:** إن الاتزان العاطفي مهم جدا للوصول إلى نضج الطفل، لذلك ينبغي مساعدة الطفل على ضبط عواطفه من خلال اهتمام التثقيف والتربية بهذا الجانب.

**البعد الأخلاقي:** وهو بعد أساسي في عملية التثقيف، لأن الأخلاق وسيلة لتقدم المجتمع ونهضته، وبالتالي يجب غرس الأخلاق الحميدة في الطفل مع ضرورة تحويلها إلى سلوك يومي لديه، فلا نكتفي بتلقين الأخلاق بالكلام بل بإظهارها في الأعمال والسلوك.

**البعد الاجتماعي:** يولد الطفل في المجتمع ويعيش فيه، فالانتماء إلى المجتمع مسألة مهمة بالنسبة للطفل، وتحقق هذه العضوية بتزويد الطفل بثقافة المجتمع ونقل التراث من جيل لآخر، ومشاركته للخبرات وتعليمه النشاطات والمهارات التي تساعد في أن يكون عضوا فعلا في المستقبل.

**البعد الديني:** وهو بعد حيوي ينظم العلاقات بين بنى الإنسان ويضع القيود التي تضبط تصرفات الفرد كما يرتقي بالجانب الروحي للفرد.

**البعد الجمالي:** إن القيم الجمالية تسمو بالإنسان وتعلي من حسه الجمالي وتجعل إحساسه مرهفا وشعوره رقيقا وتعود الطفل على الترتيب والنظام والتناسق وتذوق الأشياء والإحساس بجمالها، مما يضفي بهجة وسرورا على الحياة.<sup>70</sup>

مما سبق يتبين أن عملية التثقيف تسعى في هذه المرحلة إلى إكساب الطفل "أساليب وطرائق الحياة والفكر والعقائد ومعايير السلوك والقيم والفنون والآداب والعمل على ارتباطهم بتراث مجتمعهم الفكري والروحي، مما يساعد على التوافق مع مجتمعهم، ويميز شخصياتهم الثقافية". ومن خلال التثقيف يتم تقديم "الرعاية التلقائية للناشئين للتعبير عن شخصياتهم النامية وحفز طاقاتهم الخلاقة الكامنة بحيث تتلاءم مع الواقع، ويبدعون منجزات تجسد آمالهم وأفكارهم ووجدانهم المتفتحة".<sup>71</sup>

وهناك برامج وثائقية عديدة تنتهج هذه الأهداف، سواء كانت برامج وثائقية إثنوغرافية تعرض العادات والتقاليد، أو أفلام تاريخية تسافر بالطفل عبر البلدان والأزمنة وأخرى لعرض السير الذاتية وتقديم النماذج والقذوة للطفل ليستفيد من تجارب الغير وخبراته، أو أفلام وثائقية عن الطبيعة والنباتات والحيوانات تنمي حب الاستطلاع لدى الطفل وتوسع أفاقه، أو أفلام تعليمية وأخرى

دور الأفلام الوثائقية في تكوين ثقافة الطفل \_\_\_\_\_ أ. باجي سهام أ.د/بن زروق جمال

علمية تحدثنا في العناصر السابقة عن فائدها في تعليم الطفل وتثقيفه. هذا التنوع في أشكال الأفلام الوثائقية وتعدد موضوعاتها يمكنها من تغطية الأبعاد السابقة الذكر: الجسمية والعقلية والانفعالية والأخلاقية والاجتماعية والدينية والجمالية، فالفيلم الوثائقي مصدر شامل ومتنوع لتكوين ثقافة الطفل، وبوابته للدخول إلى عالم المعرفة.

#### خاتمة:

يتجلى الاهتمام بإعداد برامج تلفزيونية للأطفال باتباع القواعد العلمية التي تراعي خصوصية هذه المرحلة لما لذلك من فائدة على الطفل وعلى المجتمع، وينطبق الأمر على الفيلم الوثائقي كذلك. ويجدر إعطاء الاهتمام لإنشاء قنوات وثائقية خاصة بالطفل لسد الفراغ الذي تركته قناة ناشيونال جيوغرافيك كيدز أبو ظبي أو على الأقل إدخال الفيلم الوثائقي ضمن السلسلة البرمجية لقنوات الأطفال التلفزيونية. وعلى أولياء الأمور توجيه أبنائهم لمشاهدة الأفلام الوثائقية التي تتناسب مع مرحلتهم العمرية ومرافقتهم في عملية المشاهدة إذا كان الفيلم الوثائقي يُعرض على قنوات غير مخصصة للطفل ليتمكنوا من شرح ما لم يتم استيعابه -لأن هناك قواعد خاصة للكتابة لمرحلة الطفولة- أو مناقشة ما تمّت مشاهدته وكذلك تعليمهم المشاهدة الناقد.

إن إنتاج برامج وثائقية ناجحة يتطلّب القيام بشكل متواصل بمزيد من الدراسات حول مرحلة الطفولة لمعرفة احتياجاتها وفهم خصائصها، ومن ثم تكوين رؤية إعلامية شاملة تُقام على أساسها استراتيجية هادفة تقدم برامج تفيد الطفل العربي وتسليه وتحظى بثقة الآباء، ويجب التنسيق بين مختلف الجهات المعنية بالطفولة وبالثقافة عند إعداد الأفلام الوثائقية.

والعامل الاقتصادي له دور في إنعاش قطاع إنتاج الأفلام الوثائقية وفي انتشاره كنوع إعلامي بين مختلف فئات الجماهير، حيث ينبغي جذب رجال الأعمال وتشجيعهم على الاستثمار في هذا المجال لتمويل العملية الإنتاجية أو فتح القنوات المتخصصة مع ضرورة جعل القنوات مجانية ومتاحة للجميع لأن دفع الاشتراكات الشهرية سيحرم فئة واسعة من الاستفادة من مضمون القناة، وقد يكون السبب اقتصاديا أي عدم قدرة الأسرة على دفع التكاليف أو بسبب عدم اقتناعها بأهمية ومكانة الفيلم الوثائقي لدرجة جعلها تخصص نصيبا من ميزانيتها في دفع اشتراكات القنوات الوثائقية المشفرة الموجهة للطفل. وربما سنصل في يوم ما إلى مرحلة جعل مشاهدة الفيلم الوثائقي من أولوياتنا حتى وإن اقتضى الأمر دفع اشتراكات شهرية لمشاهدتها مثلما يفعل البعض لمشاهدة المباريات أو الأفلام، وسيتحقق ذلك إذا أدركنا أهمية وفوائد الفيلم الوثائقي في تكوين ثقافتنا وثقافة أطفالنا.

## الهوامش وقائمة المراجع:

- 1 أحمد محمد زبادي وآخرون، (2000)، **أثر وسائل الإعلام على الطفل**، ط2، عمان، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، ص29.
- 2 صلاح محمد عبد الحميد، (2012)، **الإعلام والطفل العربي**، ط1، القاهرة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ص23.
- 3 محمد عبد الرازق إبراهيم وآخرون، (2004)، **ثقافة الطفل**، ط1، عمان، الأردن، دار الفكر للنشر والتوزيع، ص255.
- 4 أسى نوري صالح، (2016)، **دور برامج الأطفال في القنوات الفضائية العربية المتخصصة في تثقيف الطفل**، ط1، عمان، الأردن، دار غيداء للنشر والتوزيع، ص99.
- 5 زينب محمد عبد المنعم، رشا محمود سامي، (2012)، **تخطيط البرامج الإعلامية للطفل**، ط1، القاهرة، عالم الكتب، ص187.
- 6 أسى نوري صالح، مرجع سابق، ص125.
- 7 هادي نعمان الهيتي، (1988)، **ثقافة الأطفال**، عالم المعرفة، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، عدد 123، ص30-29.
- 8 محمد عبد الرازق إبراهيم وآخرون، مرجع سابق، ص79.
- 9 منى الحديدي، سلوى إمام، (2002)، **أسس الفيلم التسجيلي، اتجاهاته واستخداماته في السينما والتلفزيون**، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، ص:13-14.
- 10 محمد نبيل طلب، صفا فوزي علي، (2008)، **الأفلام الوثائقية والبرامج التسجيلية**، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، ص82.
- 11 انشراح الشال، (2006)، **السينما التسجيلية والفنان التسجيلي**، القاهرة، دار الإيمان للطباعة، ص:87-88.
- 12 زينب محمد عبد المنعم، رشا محمود سامي، مرجع سابق، ص188.
- 13 عبد الفتاح أبو المعال، (2006)، **أثر وسائل الإعلام على تعليم الأطفال وتثقيفهم**، ط1، الأردن، دار الشروق، ص:84-85.
- 14 محمد عبد الرازق إبراهيم وآخرون، مرجع سابق، ص:258-259.
- 15 هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص93.
- 16 أحمد محمد زبادي وآخرون، مرجع سابق، ص36.
- 17 أشرف قابوس، (2015)، **الأب الإلكتروني آليات الغرس الثقافي وأخلاقيات الطفل العربي**، ط1، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ص34.
- 18 محمد عبد الرازق إبراهيم وآخرون، مرجع سابق، ص260.
- 19 أسى نوري صالح، مرجع سابق، ص185.
- 20 أشرف قابوس، مرجع سابق، ص33.
- 21 زينب محمد عبد المنعم، رشا محمود سامي، مرجع سابق، ص190.
- 22 عبد الفتاح أبو المعال، مرجع سابق، ص108.
- 23 أحمد محمد زبادي وآخرون، مرجع سابق، ص:36-37.

- 24 كرم شلبي، (2008)، **فن الكتابة للراديو والتلفزيون**، جدة، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، مكتبة الهلال، ص ص:363-364.
- 25 عبد الفتاح أبو المعال، مرجع سابق، ص ص:115-116.
- 26 كرم شلبي، مرجع سابق، ص:364-366.
- 27 أسى نوري صالح، مرجع سابق، ص45.
- 28 كرم شلبي، مرجع سابق، ص366.
- 29 المرجع نفسه، ص369.
- 30 أسى نوري صالح، مرجع سابق، ص46.
- 31 كرم شلبي، مرجع سابق، ص:369-372.
- 32 هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص76.
- 33 كرم شلبي، مرجع سابق، ص ص:359-360.
- 34 هادي نعمان الهيتي، مرجع سابق، ص:77-78.
- 35 محمد عبد الرازق إبراهيم وآخرون، مرجع سابق، ص169.
- 36 كرم شلبي، مرجع سابق، ص361.
- 37 محمد نبيل طلب، صفا فوزي علي، مرجع سابق، ص69.
- 38 زينب محمد عبد المنعم، رشا محمود سامي، مرجع سابق، ص243.
- 39 لؤي الزعبي، (د.ت)، **الأفلام الوثائقية**، سوريا، منشورات الجامعة الافتراضية السورية، د.ط، ص284.
- 40 محمد نبيل طلب، صفا فوزي علي، مرجع سابق، ص70.
- 41 لؤي الزعبي، مرجع سابق، ص285.
- 42 المرجع نفسه، ص284.
- 43 ضياء مرعي، (2004)، **السينما التسجيلية في مصر**، ط1، مصر، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ص39.
- 44 منى الحديدي، سلوى إمام، (2001)، **السينما التسجيلية: الخصائص والأساليب والاستخدامات**، ط1، القاهرة، دار الفكر العربي، ص ص:110-111.
- 45 حسين حمدي الطوبجي، (1987)، **وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم**، ط8، الكويت، دار القلم، ص149.
- 46 المرجع نفسه، ص152.
- 47 حفصة كويبي، (2018)، **الفيلم التسجيلي -مقاربة مفاهيمية-**، مجلة الحقيقة، مجلد 17، عدد3، ص531.
- 48 لؤي الزعبي، مرجع سابق، ص:73-74.
- 49 منى الحديدي، سلوى إمام، (2001)، **السينما التسجيلية: الخصائص والأساليب والاستخدامات**، مرجع سابق، ص111.
- 50 حفصة كويبي، مرجع سابق، ص531.
- 51 صلاح محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص88.
- 52 محمد عبد الرازق إبراهيم وآخرون، مرجع سابق، ص164.
- 53 صلاح محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص89.

- 54 حسين حمدي الطوبجي، مرجع سابق، ص148.
- 55 لؤي الزعبي، مرجع سابق، ص286.
- 56 صلاح محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص26.
- 57 لؤي الزعبي، مرجع سابق، ص287.
- 58 انشراح الشال، مرجع سابق، ص54.
- 59 عادل ضيف الله، (2017)، **العناصر الدرامية للفيلم الوثائقي السينمائي والتلفزيوني في السودان**، دكتوراه الفلسفة في الدراما، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، ص79.
- 60 عاصم علي الجرادات، (2009)، **معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية سلسلة سري للغاية في قناة الجزيرة نموذجاً**، ماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، ص34.
- 61 لؤي الزعبي، مرجع سابق، ص287.
- 62 منى الحديدي، سلوى إمام، (2001)، **السينما التسجيلية: الخصائص والأساليب والاستخدامات**، مرجع سابق، ص105.
- 63 زينب محمد عبد المنعم، رشا محمود سامي، مرجع سابق، ص246.
- 64 المرجع نفسه، ص:243-245.
- 65 لؤي الزعبي، مرجع سابق، ص285.
- 66 أسى نوري صالح، مرجع سابق، ص186.
- 67 المرجع نفسه، ص:122-123.
- 68 محمد عبد الرازق إبراهيم وآخرون، مرجع سابق، ص89.
- 69 المرجع نفسه، ص:147-148.
- 70 المرجع نفسه، ص91.
- 71 صلاح محمد عبد الحميد، مرجع سابق، ص78.